# مواقف الشعراء من السلطة في العصر الجاهلي

أ.م.د.مشتاق طالب منعم  م.د.خالد عبد الله كاظم
جامعة واسط/كلية التربية الاساسية/قسم اللغة العربية
mtalib@uowasit.edu.iq  kabdulla@uowasit.edu.iq

**الملخص:**

يمثل هذا البحث محاولة لتقسيم الشعراء على وفق اتجاههم السياسي، ومواقفهم من السلطة الحاكمة بمختلف أنواعها ؛ سواء أكانت سلطة قبلية ، ام سلطة ملكية، وتلك المواقف محكومة بعوامل عدة منها : عوامل ذاتية متعلقة بالنشأة والمعتقد، ومنها ما يتعلق بالمصالح المشتركة، أو يتعلق بطبيعة الحكام، اذ تبين من خلال البحث أن هناك أربعة اتجاهات أو ميول، وكل اتجاه من تلك الاتجاهات يضم مجموعة من الشعراء الذين يعتقدون به ، ويجنحون اليه ، اذ هناك من يؤيد السياسة الحاكمة مهما كان نوعها ومهما كانت طريقتها في الحكم، وهنالك نوع يقف على على الحياد وهم قلة، ومجموعة تعارض السلطة الحاكمة، في حين وجدنا طائفة رابعة تتأرجع بين القبول والرفض، وهذه الفئة تحكمها مصالحها الشخصية، فلا تستقر على موقف محدد ، ولا تتبنى اتجاه بعينه ، فتارة تتقرب من هذا وتنفر من ذاك والعكس صحيح.

**الكلمات المفتاحية** : ( السلطة، المؤيدون، المتأرجحون، الرافضون ).

The Attitudes of Poets toward The Authority in The Pre-Islamic Era

Mushtaq taleb monem

Khalid abulla kadhim

This paper represents an attempt to divide the Pre-Islamic Poets on the basis of their political orientation، and their positions in line with all kinds of Ruling Authority; whether it is tribal or royal authority. Several factors govern those poets' attitudes، some of them، are subjective influences related to upbringing and belief، whereas، others، are related to shared interests، or related to the nature of the rulers. As it became evident، through the research، that there are four directions or inclinations; each of these directions includes a group of poets who believe in it، and tend towards it، firstly، those who have supported the policy of ruling authority، whatever its modality and whatever its strategy of governance. Secondly، those who adopt neutrality، and are few. Thirdly، those who represented a group of contraposition against the ruling authority. While، fourthly، those who hesitate between acceptance and rejection، and this group is governed by its personal interests، do not settle on a definite position and do not adopt an explicit direction، viz.، those who sometimes approach this aspect and sometimes else they alienate from that، and vice versa.

Keywords: (Authority، Corroborative Poets، Capricious Poets، and Recusant Poets)

المقدمة

كثيرة هي التقسيمات التي حاول من خلالها النقاد والباحثين تقسيم شعراء العصر الجاهلي، فذهب بعضهم الى تقسيمهم على وفق العمر ، وبعضهم اتبع الغرض الذي نضموا فيه ، أو الثيمة التي اشتهروا فيها، وذهب بعضهم الى النظر الى التوصيف الوظيفي، فصار هناك الشعراء الملوك ، او الفئة التي ينتمون اليها، وحتى اللون ، لكن بقي الجانب السياسي مهملاً لم يلتفت اليه أحد، وحتى من التفت اليه، كانت التفاتته عبارة عن نظرة سريعة، وهذا الامر الذي جعلنا نتبنى تقسيماً جديداً يعتمد الجانب السياسي، وبحسب اعتقادنا انه التقسيم الأعم الأشمل الذي ينتمي اليه أغلب شعراء العصر الجاهلي من الناحية السياسية ، اذا ما استثنينا الملوك وزعماء القبائل، وهذا الامر كان باعثاً للكتابة في هذا الميدان، وبيان الاطر والمفاهيم المتعلقة بالبحث.

(توطئة البحث)مرجعيات التأسيس الثقافية:

تبنى شخصية الافراد بناءً على مرجعيات ثقافية مهمة ، يكون لها الدور الفاعل في تكوين شخصياتهم ومسؤوليتهم في اتخاذ المواقف ، اذ نجد في كثيرٍ من الاحيان أن الاسرة لها الاثر الأكبر في تنشئة الطفل ؛ بوصفها الحاضن الاول له ، والمرتكز الاساس الذي تبنى عليه شخصيته ، ثم يأتي بعد ذلك المحيط أو الواقع المعيش من بيئته ومجتمعه ، ومواقف وحروب كلها تسهم اسهاما مباشرا في صناعة الفرد ، «فدائما نجد ثقافة الآخر تدخل عنصرا مكونا في تشكيل ذاتنا الثقافية ، مثلما تدخل ثقافتنا عنصراً مكوناً من عناصر ثقافة الآخر. بدرجات متفاوتة وعلى وفق كل الاحتمالات الممكنة : فالقوة قد تشكل الآخر – قسراً تراكمياً أو دورانا ولعباً عليه ، والتواصل المفضي إلى التفاعل الثقافي الإنساني قد يشكل الآخر – وهذا هو الاحتمال الايجابي المرتجى»[1]، وعلينا أن نعي جيداً أن السلطة شريكة في تحديد مواقف الشعراء منها[2] ، لأنها تمتلك المغريات من المال والوظائف والمناصب ، «فربما يؤثر موقف السلطة على مايبدعه الشاعر فالسلطة غالباً ماتمسك بيدها خيوطاً يمكنها أن تتحكم بها في ألسنة الشعراء فيسود أحياناً المديح والنفاق والتكسّب »[3]، لا سيما أنها عمدت على إغواء كبارهم ، بالامتيازات والمناصب التي تزداد وتكبر بمقدار التزامهم بالأنظمة وقبولها بل ومدحها أحياناً ، وطمع بعضهم بالحصول على مناصب سياسية لاعتقادهم بحق انهم أولى وأجدى من غيرهم بهذه المناصب [4].

**السلطة المفوم والأنواع والمتغيرات:**

لا شك ان السلطة من الاسس المهمة التي تقوم على اساسها وفي ضوئها المجتمعات ، وتلعب السلطة الدور الفاعل والكبير في مختلف الاصعدة ، بحسب السياسة التي تنتهجها وطبيعة الحاكم، وعلى وفق ذلك تتحدد أطر العلاقة وطبيعتها على الصعيدين الداخلي والخارجي، وقبل ان ندخل الى التفاصيل لا بد لنا من تحديد مفهوم السلطة بعيداً عن مدلولها اللغوي ، اذ انها تعني في العرف الاجتماعي هي

الحكومة المنتخبة أو المختارة ، أو المتسيدة ، أو التي تفرض سلطانها لتحقيق أهداف مختلفة[٥]، وتعرف بأنها: «الوظيفة التي تقوم على سنَّ القوانين وحفظها ، وتطبيقها ، ومعاقبة من يخالفها ، وهي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة ، إنها الوظيفة التي لا غنى عنها لوجود الجماعة ..، لاستمرارها ومتابعة نشاطها»[٦]

أما فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين المجتمع بوجه عام والشاعر على وجه الخصوص ؛ فهي علاقة متغيرة غير مستقرة في بعض الأحيان، وربما يبدو السبب الذي يقف وراء ذلك التغير والتحول هو طبيعة الذات البشرية التي تنماز بعدم الاستقرار ، فضلا عن الثقافة والاسرة ، وما يتعلق بذلك ، ومن الجدير بالذكر ان الأصل في علاقة الشاعر بالسلطة لا يمكن عدها بأنها أصل ؛ انما هي من العلاقات المتحولة التي تحولت بمرور الزمن ، فالأصل أن الشاعر صوت القبيلة المعبر عن تطلعاتها وأهدافها ، ومطالبها، لكنه بمرور الزمن وبفعل ما موجود من مغريات أصبح الشاعر صوت السلطة الذي يتحدث عنها، ويرسخ دعائمها، ويدعمها ويسوغ لها أفعالها، وهذا ما جعلنا أمام هوية ثقافية غير معتادة في العصر الجاهلي، اذ تخلى عن هدفه المنشود الى هدف آخر، وهذا الحكم لا ينطبق على جميع الشعراء، بل نجد من شذ عن ذلك وبقي محافظاً أو صار من المعارضين.

**أقسام السلطة:**

تقسم السلطة على أقسام ثلاث ، وربما تتسع لأكثر من ذلك بحسب التقسيمات المختلفة التي تجلت عن السياسات المتبعة من قبل الملوك والحكام والامراء ، ويمكن بيان ذلك على وفق الآتي:

١-السلطة الدكتاتورية: هذا النوع من السلطة يعد من أسوأ أنواع السلطة ، اذ يرى المتسلط في نفسه ما لا يرى في غيره، فهو السيف المسلط على رقاب الآخرين ، وهو صاحب الجبروت الذي تضخمت عنده الأنا ووصلت الى مراتب عليا لا يمكن

السكوت عليها، وما يهمه نفسه فقط ، أما سواه فهم خدم وهم أقل شأناً منه.

٢-السلطة التعويضية: وهذا النوع من السلطة هو أخف وطأة من سابقه ، لكنه ينتهج السبل غير الشرعية في سبيل اثبات وجوده ، اذ يلجأ الى شراء الذمم بالأموال والهبات.

٣-السلطة السوية أو المعتدلة: وهذا النوع من السلطة يعد الأفضل، لكنه قلما يتوفر، اذ يحاول اصحاب هذه السلطة التوافق مع الجميع ، وقد تجمع السلطة الأنواع الثلاث أعلاه بحسب مقتضيات السلوم والتوجه، وقد نجد أنواعاً أخرى غير موجودة في المجتمعات الحديثة الا ما ندر ، ويطلق عليه السلطة الرشيدة ، وهذه السلطة تحكم على وفق القانون وتطبقه على نفسها قبل غيرها، وقد نجد كذلك نوعاً نقيضاً لهذه السلطة يتمثل بالسلطة المستبدة[٧].

**مصادر قوة السلطة:**

تنوعت مصادر قوة السلطة بحسب العصر الذي تنتمي اليه ، فهناك قوة دينية ، وقوة استعمارية ، ولكن أشهر مصادر قوة السلطة في العصر الجاهلي يمكن حصرها في أنماط ثلاثة، هي المال ، والعنف ، والمعرفة ، والحاشية ، بالنسبة لصاحب السلطة الذي ينماز بضعف شخصيته.[٨]، فاذا ما توافرت هذه المقومات للسلطة استطاعت أن تحكم وتتحكم في مصائر الناس، وإذا ما فقدت فقدت السلطة هيبتها، ونفوذها على الاخرين، وبناء على ذلك يبدو ان تلك المقومات ، هي المقومات الرئيسة في الحكم .

**أقسام الشعراء على وفق مواقفهم من السلطة:**

ينقسم الشعراء على أقسام عدة بحسب ميولهم ، واتجاهاتهم ، وشخصياتهم التي تؤثر وتتأثر بالمواقف، وبناءً على تلك الميول يمكن أن نقسمهم على ما يأتي ، مع الأخذ بنظر الاعتبار المواقف الانية والمواقف المتحولة ، وهذا التقسم ينبع مما يراه الباحثان على وفق الحادثة ، والموقف ، والسياق ، والمدة

الزمنية ، واعتقادنا أن هذه العوامل تبدو موضوعية في التقسيم.

١-الشعراء المؤيدون (المستفيدون، الانتهازيون)[٩]: واحدة من الظواهر المهمة جداً التي لا تقتصر على مجتمع دون آخر، اذ أينما نحل أو نرحل نجد هذه الظاهرة ، لا سيما في البلدان الشرقية ، وربما هي أقل ظهورا في البلدان المتطورة، ويبدو أن بعض الافراد يغلب عليهم الطبع فتجده متملقاً بالفطرة، وهذا الأمر لا يمثل ظاهرة كبيرة ، انما يمكن عده تمثيلاً فردياً لا يعبر عن شيء ، أما الصنف الآخر وهم الأعم الأغلب الذين صنعوا الطغاة ، وصار بسببهم المجتمع أقساماً وشيعاً متعددة ، وهؤلاء يمكن تصنيفهم على صنفين: بعضهم يشعر بالنقص فلم يجد نفسه الا في أن يكون عبداً ذليلاً خاضعاً لارادة السلاطين والطغاة عاملاً على اظهار نفسه بمظهر القوة والسلطة ، لكنه لم يعلم أن الجميع يعرفه مهما حاول اخفاء حقيقته عن البشر وهذا هو المدجن ، وهنا تظهر اشكالية كبرى تتمثل في تلك الشخصية، لأنها مرت بمرحلتين مهمتين مرحلة ما قبل التدجين، ومرحلة ما بعد التجديين، ومن خلال الاطلاع المتواضع والقراءة لبعض الشخصيات التي صارت مدجنة ، نجد أنها في مراحلها الاولى كانت خاضعة ذليلة لارادات مختلفة ، أثر المجتمع عليها تأثيراً كبيراً ؛ فهي ضائعة ضعيفة جداً لا تستطيع أن تصنع شيئاً، وعندما سنحت لها الفرصة الى ان تكون مدجنة انتهزت تلك الفرصة ، آملة التخلص من شبح الضعف الذي بقي يطاردها لمدد زمنية طويلة ، فوقعت في فخ التلون والضعف مرة أخرى ؛ لأنها اعتقدت في الاولى انها قد تخلصت من الواقع القديم ، لكنها في الحقيقة صارت اسيرة قيد آخر هو كشف المجتمع لحقائق غائبة غير معلنة، وهناك نوع آخر يختلف بطبيعته عن الشخصية الانتهازية المدجنة ، وهو الشخصية صاحبة المصالح التي ترى ان السلطة تحقق لها أطماعها ومصالحها، فوجدت التأييد خير وسيلة للوصول الى تحقيق الاهداف

المنشودة ، وهناك نوع ثالث من هذه الفئة التي تؤيد السلطة مهما كانت سياستها تجاه الناس ، وهي الطمع البحت من اجل الوصول الى ما تبتغي، إذ تحاول هذه الفئة الحصول على المكاسب المادية والمعنوية، وجميع الاصناف أعلاه تنتهي مهمتها بانتهاء السلطان الحاكم، لتلبس بعد ذلك ثوباً جديداً ، ووجهاً آخر طبقاً لتحولات المرحلة الجديدة وما تتطلبه من اعداد وتهيئة.

عرف المجتمع الجاهلي هذا اللون من الشخصيات ، وان كانت الاخبار التاريخية لا تسعفنا بشيء فيما يتعلق بموقف المجتمع وآلية تعامله معم ، لكن النصوص الشعرية التي بقيت خالدة على مر العصور والسنوات أمدتنا بمعلومات لا بأس بها، فضلاً عن ذلك أنها زودتنا بمواقف الشعراء من الحاكم والمحكوم، وان كان موقف الشعراء من السلطة واضحاً جداً، ويمكن القياس عليه، لا سيما أن النص الشعري هو الوثيقة التاريخية المهمة التي يجري على اساسها التعامل والحكم والنتيجة ، اذ أظهرت النصوص الشعرية لنا مواقف الشعراء المؤيدة للسلطة ولدينا أكثر من شخصية في هذا الميدان، وهي شخصيات مشهورة في التاريخ الأدبي، ولم تكن بحاجة التقرب الى السلطان، بسبب مكانتها الاجتماعية وأثرها الكبير في محيطها، لكنها أبت الا أن تدخل في هذا الميدان، وتقدم نفسها ولو على حساب غيرها، وبناءً على ذلك فاننا قلما نجد شاعراً لم يصب بآفة التدجين أو الولاء أو التملق أو الانتهازية ، وبما أن السلطة قد أفلحت في كسب الشعراء لصالحها، وهم يمثلون القمة والصفوة في المجتمع فهذا يكفيها ويلبي طموحها، لأن الصفوة صارت تحت أيديها خاضعة متذللة ، لا سيما أن الشاعر يعدل المثقف في زمننا اليوم وربما أكثر، وخير دليل على ذلك ما ورد في كتاب السلطة والمثقف لادوارد سعيد، اذ يقول: «ما من أحد غير المثقف يستطيع تمثيل المعاناة الجماعية لأبناء الشعب ، والشهادة على ما كابدوه وإعادة تأكيد صمودهم ووجودهم برغم كل شيء»[١٠]، والشاعر كما هو معروف يعبر عن

المعاناة، والمأساة والان صار بيد السلطة ، فالمجتمع على ما يبدو فقد من يعبر عن همومه أو آلامه ، وصار الشعراء شعراء بلاط فقط ، ويحدد لنا جابر عصفور تاريخ اقتراب الشاعر من السلطة فيقول: «بدأ التحول من صورة الشاعر المفرد الذي يتحد بالمجموع من قبيلته، هادياً إياها ما يراه سبيلها القويم ، إلى صورة الشاعر الذي يتحد بمصالحه الخاصة... متنقلاً بين مواطنها ليزيد منها. وقد فعل ذلك النابغة والأعشى ، وكذلك غيرهما من الشعراء الذين كانوا يثابون على المديح في العصر الجاهلي، والذين استنوا تقاليد التنقل طلبا للعطاء، ووضع الأصول الأولى للتكسب بالشعر. وقد ساعد أمثالهم على ذلك غياب السلطة المركزية في العصر الجاهلي»((١١))

ان تحول كهذا يمثل خيانة أولى أو عتبة أولى لخيانة الشعر والتخلي عن الرسالة الحقيقية الموكلة اليه وللشاعر، ومن هنا بدأت المشكلة بالظهور الى السطح.

ان مشكلة المجتمع بهذه الطائفة لا تعدلها مشكلة اخرى كونهم يخططون ويرسمون ويزوقون ، ويبرروا الافعال لأسيادهم، ومآربهم في ذلك واضحة، إذ إنهم في كثير من الاحيان لم يكونوا من المعوزين وليسوا بحاجة الى الاموال ، لكن دعاهم مرضهم الذاتي ومطامعهم الى التزلف من أرباب السلطة.

يحفل التاريخ الجاهلي بالكثير من الشعراء المعروفين عندنا بأهميتهم ومكانتهم الاجتماعية والادبية، لكنهم ومما يؤسف له تحولوا الى مدجنين ، عاشوا في بلاط الملوك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر لدينا النابغة ، والأعشى ، والمنخل اليشكري الذين صاروا من شعراء البلاط الملكي، وخير وسيلة وجدوها لتحقيق مآربهم هي المديح، فصاروا يتسابقون ويتزاحمون على أبواب الملوك طمعاً في المقام والترف والغنى، فالنابغة الذبياني قد اتخذ من مدائحه وسيلة للتقرب وانحرف برسالة الشعر نحو طريق آخر لم تعهده الثقافة الجاهلية، وفي واحدة من مدائحه نجده يبالغ ويؤيد ويرسم خارطة طريق للنعمان بن المنذر، اذ يقول:

و لا أرى فاعلاً ، في الناس ، يشبهه ولا أُحاشي، من الأقوام، من أحَدِ
إلاّ سليمانَ ، إذ قالَ الإلهُ لـــهُ قم في البريةِ ، فاحددها عنِ الفـندِ
وخيّسِ الجِنّ! إنّي قد أَذِنْتُ لهـمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفّاحِ والعَمَـــدِ
فمن أطاعكَ ، فانفعهُ بطاعـتهِ، كما أطاعكَ ، وادللهُ على الرشـدِ
ومن عَصاكَ، فعاقِبْهُ مُعاقَبَـــةً تَنهَى الظَّلومِ، ولا تَقعُدْ على ضَمَـدِ
إلاّ لِمثْلِكَ، أوْ مَنْ أنتَ سابِقُـــهُ سبقَ الجواد ، إذا استولى على الأمدِ[١٢]

ويستثمر النابغة اسلوب التحريض المبطن، وتوجيه أصابع الاتهام الى الخصوم، في محاولة منه لإعادة المركزية لنفسه والعودة الى بلاط النعمان بعد هربه منه، فيقول:

أَتوعِدُ عَبدًا لَم يَخُنكَ أَمانَـةً وَتَترُكُ عَبدًا ظالِمًا وَهوَ ضالِـعُ
وَأَنتَ رَبيعٌ يُنعِشُ الناسَ سَيبُهُ وَسَيفٌ أُعيرَتهُ المَنِيَّةُ قاطِـعُ
أَبى اللَهُ إِلّا عَدلَهُ وَوَفـاءَهُ فَلا النُكرُ مَعروفٌ وَلا العُرفُ ضائِعُ[١٣]

فالخيانة والامانة هما الحجة الرئيسة التي انطلق منها النابغة الذبياني ، اذ جعلها مدخلاً لمديحه ، فمن خلال الاستفهام استطاع ان ينفذ الى الحجة الاقناعية ، وايصال الفكرة بأنه بريء مما نسب إليه، ليدخل دخولاً مباشراً الى وصف كرمه وشجاعته، ثم يقدم حجة أخرى تدعم الحجتين الأولى والثانية، وهي حجة العدل والوفاء ، وهذه الصفات لم تكن مكتسبة أو أنها من الأمور الطارئة على شخصيته ، بل هي حكم إلهي لا محيص منه ولا حياد عنه. أما الأعشى فهو انتهازي مؤيد متملق ، لأنه أحب الشهرة والمال والمنصب، فلم يترك مكاناً دون أن يذهب إليه، ولو جاز لنا الوصف في أن نصفه ، فإنه شاعر البلاط بامتياز، وقد وصف طوافه في البلدان ورحلته في جمع المال في واحدة من قصائده، اذ يقول:

وَقَدْ طُفْتُ للمَالِ آفَاقَـــهُ: عُمَانَ، فحِمصَ، فَأُورِيشَلِيْمْ
أتيتُ التّجاشيّ في أرضــهِ، وأرضَ النّبيطِ وأرضَ العجمْ
فنجرانَ فالسّروَ منْ حمـيرٍ، فأيَّ مرامٍ لهُ لـــمْ أرمْ
ومنْ بعدِ ذاكَ إلى حضر موت، فأوفيتُ همّي وحيـناً أهمّ[14]

ان رحلـة مثـل هـذه الرحلـة تتطلـب جهـوداً اسـتثنائية ، وطاقـات كبـيرة ، لأنهـا ليسـت باليسـيرة عـلى انسـان عـاش في بيئـة تعتمـد عـلى الحيوانـات في تنقلهـا مـن مـكان لآخـر، وان دل ذلـك عـلى شيء، فإنـما يـدل عـلى أن هـذا الشـاعر أفنـى حياتـه في الرحلـة والبحـث عـن المـال ، وتتبـع مـوارده مهـما بعـدت ، فضـلاً عـن ذلـك أن تلـك الرحـلات فيهـا دلالات كبـيرة تتمثـل بمحاولتـه أن يكـون سـفيراً ناقـلاً للأخبـار، ومـا يهمنـا في هـذا السـياق طريقـة تعاملـه مـع الملـوك، ويبـدو أنـه أذل نفسـه اذلالاً في محاولـة كسـبه ود الملـوك ، وتلمـع لنـا مدائحـه التـي تفـوح بريـح المبالغـة والغلـو في الملـوك الذيـن مدحهـم، وديوانـه خـير شـاهد ودليـل عـلى ذلـك مديحـه هـوذة بـن عـلي:

إلى هَوْذَة الَوهّابِ أهْدَيْتُ مِدحتي أرجّي نوالاً فاضلاً منْ عطائكا
تَجانَفُ عَنْ جُلّ اليَمَامَة نَاقَتـي، وما قصدتْ منْ أهلها لسوائكـا
ألَمّتْ بِأقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُـمْ قلوصي، وكانَ الشَّربُ منها بمائكا
فَلَمّا أتَتْ آطَامَ جَوٍّ وَأهْلَـــهُ، أنيختْ، وألقتْ رحلها بفنائكمـا
ولمْ يسعَ في الأقوامِ سعيكَ واحدٌ، وَلَيْسَ إنَاءٌ للنّدَى كَإنَائِكَـــا
سَمِعتُ بسَمعِ البَاعِ وَالجودِ وَالندى فأدلَيتُ دَلْوِي، فاستَقَتْ برِشائِكَا
فتىً يَحمِلُ الأعباءَ، لَوْ كانَ غَيرُهُ من النّاسِ لمْ ينهضْ بها متماسكا
وَأنْتَ الّذِي عَوّدْتَني أنْ تَرِيشَنـي وَأنْتَ الّذِي آوَيْتَني في ظِلالِكَـا
فَإنّكَ فِيمَا بَيْنَنَا فيّ مُـــوزَعٌ بخيرٍ، وإنّي مولعٌ بثنائكـــا

وجدتَ علياً بانياً، فورثتـــهُ، وطلقاً، وشيبانَ الجوادَ، ومالكـا
بُحُورٌ تَفُوتُ النّاسَ في كُلّ لَزْبَة ، أَبُوكَ وَأَعْمَامٌ هُمُ هَؤلائِكَـــا
وَمَا ذاكَ إلاّ أنَّ كَفّيْكَ بِالنّـدَى تَجُودانِ بِالإعْطاءِ، قَبلَ سُؤالِكَـا
..... .....
وَرَبّيْتَ أيْتَاما، وَألْحَقتَ صِبْـيَة ، وأدركتَ جهدَ السّعيِ قبلَ عنائكا[١٥]

ومن نافلة القول أن بعض الشعراء استطاعو بما اتوا من حجة القول وقوة التأثير على الملوك والسلاطين تغيير بعض المواقف اتجاه أقرب الناس الى الملوك ، كما فعل لبيد بن ربيعة العامري مع الربيع بن زياد العبسي نديم النعمان والمقرب منه، إذ تحولت تلك القرابة الى تنافر. ويستحضر الحارث بن حلزة اليشكري صورة مبنية على الغرائبية ليتقرب من خلالها الى النعمان بن المنذر، فيقول:

لَمّا جَفاني أَخِلّائي وَأَسلَمَنـــي دَهري وَلحمُ عِظامي اليَومَ يُعتَرَقُ
أَقبَلتُ نَحوَ أَبي قابوسَ أَمدَحُهُ إِنَّ الثَناءَ لَهُ وَالحَمدُ يَتَّفِـــقُ
سَهلَ المَباءَةِ مُحضَرَاً مَحَلُّـــهُ ما يُصبِحُ الدَهرُ إِلّا حَولَهُ حَلَـقُ
لِلمُنذِرينَ وَلِلمَعصوبِ لِمَّـتُهُ أَنتَ الضياءُ الَّذي يُجلى بِهِ الأُفُقُ[١٦]

والمواقف والشواهد على ذلك كثيرة ، وخير ما نجده ختاماً لهذه الفقرة ، هو موقف عنترة بن شداد ، اذ نجده في بعض قصائدة من المعارضين للملوك وفي بعضها الاخر من الرافضين ، اذ كان يهجو النعمان بن المنذر، ويعارضه معارضة شديد ة، ويمدح ويؤيد في بعض قصائده كسرى ، وهذه مفارقة أملتها الدوافع والاهداف.

٢- الشعراء المحايدون: الحياد واحدة من الاشكاليات التي تحمل وجهين : أحدهما سلبياً والاخر ايجابي، ففي بعض الأحيان يكون

الحياد مشكلة لا يمكن قبولها أو السكوت عليها ، لأن الالتباسات بين الخطأ والصواب واردة وبين الحق والباطل أيضا، وهذه الفئة لها بعض الايجابيات ، كونها لا تدخل في كفة صراع أو تميل الى اتجاه معين ، وفيها سلبيات كثيرة كما أشرت قبل قليل، ومن الجدير بالذكر، ان الحياد لا يقتصر على شخصية شاعر بعينه ، إنما يشمل في بعض الاحيان قبيلة كاملة، كما فعل الحارث بن عباد في بداية الأمر ازاء المعركة التي حدثت بين بكر وتغلب ، ولكن حين دخل وسيطاً للصلح وبعث ابنه وحدث ما حدث ، قرر الدخول الى الميدان والسعي للنيل من قبيلة تغلب[١٧]، وربما تتسع الدائرة لتشمل موقف قبيلة كاملة اتجاه حاكم كبير يقود امبراطورية ، ولو تصفحنا بروح التأني والتفحص مواقف الشعراء المحايدة الذين لم يمدحوا سلطة ولم يعارضوها وكان موقفهم حيادياً، يظهر لنا عدي بن زيد العبادي كاتب كسرى وصهر النعمان بن المنذر ، صاحب الشخصية الفذة التي تأبى أن تمدح أو تهجو وحتى ترثي ، إذ إن اعتداده بنفسه، ومكانته وبيته الذي ينتمي إليه جعله ينظر الى نفسه نظرة مختلفة غير نظرة الشعراء الى أنفسهم ، ويبدو أن اتجاهه يختلف عن اتجاه أسلافه ، إذ إنه شكل علامة فارقة في أدبنا القديم ، وهذا ما جعل نقادنا القدماء يصفونه بأنه :»بمزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري مجراها«[١٨]، ونجد ان الشاعر وحتى اثناء وجوده في السجن كان يبث أبياته الحمية التي تدل على انه شاعر حكمة بامتياز، فيقول:

إنَّ لِلدَهرِ صَولَةً فَاِحذَرنَها ... لا تَنامَنَّ قَد أَمِنتَ الدُهورا

قَد يَبيتُ الفَتى صَحيحاً فَيَردى ... بَعدَ ما كانَ آمِناً مَسرورا

إِنَّما الدَهرُ لَيِّنٌ وَنَطوحٌ ... يَترُكُ العَظمَ واهِياً مَكسورا[١٩]

٣-الرافضون المعارضون للسلطة « لماذا يعارض الشاعر سلطةً ما ؟ وقد يتضمن الجواب على هذا السؤال سؤالاً هو : ولماذا لا يعارضها إذا كانت ظالمة ، ولكن ما شأنه بظلمها ، ولمَ لم يسكت مثل الآخرين ، وماذا يريد من معارضتها ، لاسيما أن بعضهم تعرض للسجن والتعذيب ، كما سنرى ، وللنفي أحياناً ، وللغوص في الإجابة على كل هذه الأسئلة»[٢٠]. علينا الاعتراف بدءاً أن»ليس من السهل التحرر من تحكم السلطة ، فطالما إن هذا التحكم يتخذ صيغاً وآليات ومسارات غاية في التعقيد والتخفي ، فإن الذات ، غالباً ، ما تجد نفسها واقعة في قبضة سلطة معينة ... وتزداد السلطة قوة بقدر ما يتنازل الخاضعون لها»[٢١]، وهذا يعني أن السلطة كلما تشبثت وحاولت أن تبني قواعدها، وكلما طال بها الزمن، تحولت الى اخطبوط يحاول أن يتمسلك بكل شيء ويلغي دور الآخر.

ان الرفض للسلطة يحيلنا الى تحديد السلطة المرفوضة في ذلك العصر، لأن لدينا أكثر من سلطة، فهناك سلطة الحكام ، وسلطة سادة القبيلة ، وسلطة كبار القوم ، وما يعنينا هنا وفي هذا الميدان تحديداً هو السلطة السياسية المتمثلة بالملوك والحكام والقبيلة ، ولا نريد الخوض في سلطة المرأة لأنها تخرج عن نطاق بحثنا. لقد كانت علاقة ذوي الفكر بذوي السياسة قائمة في بادئ الأمر على ما هو متعارف عليه بعصر الجاهلية، ... قائمة على غرضي المدح والهجاء ؛ فهما أساس العلاقة بين الحاكم وفي السلب والايجاب ، وعلى اساسهما يترتب[٢٢]، ومن لم يؤيد ويسلك طريق الهجاء فهو من المعارضين المتمردين، وحركة التمرد «ليست في جوهرها حركة أنانية _ قد يكون لديها ولا شك مقاصد أنانية _ ولكنها على الأعم الأغلب حركة جماعية تكون ضد الاضطهاد أو قد تنشأ أيضا لدى مشاهدة الاضطهاد الذي يتعرض له شخص آخر»[٢٣]

ان المجتمع الجاهلي وكما هو معروف يتألف في بنيته الاجتماعية لا السياسية من فئات ثلاث : هي سادة القوم الاصلاء الصرحاء في النسب والانتماء ، والموالي والعبيد ،

ولكل فئة من هذه الفئات مميزاتها التي تنماز بها عن غيرها، ومن باب الاحاطة بمواقف الرفض للسلطات يلزم البحث علينا تقسيم الرفض على وفق الآتي :

١-رفض سلطة الملوك والحكام : ان رفض سلطة الملوك والحكام متأتية من جانبين أو من اتجاهين: الاول هو الرفض الفردي من قبل بعض الشعراء الذين يرون في أنفسهم الرفعة والعلو ويرون في حاكمهم الذل والعار والخزي ، وهؤلاء الشعراء كلفتهم مواقفهم في بعض الاحيان حياتهم ثمناً لها، والرفض الاخر هو الرفض الجماعي الذي ظهر بلسان الشاعر، والشاعر في هذا الموضع يستمد قوته وعزمه من قوة القبيلة التي ينتمي اليها، لأنها ستقف معه، وستمنع الحاكم من النيل منه.

لقد حفل الشعر الجاهلي بمواقف مشرفة تستحق الذكر وتستحق الخلود، فكانت كلمتهم العليا صادقة معبرة عن قوة ووعي لما يريدون ايصاله للملوك والحكام من دون تردد وخوف ، والشواهد على ذلك كثيرة ، فهناك الكثير من الشعراء من عارض الملوك والحكام معارضة شديدة ، واسباب تلك المعارضة كثيرة لا يمكن ايجازها ببحث مختصر، بل هي بحاجة الى جهد كبير وتفصيلي، لكن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر سياسة الملوك والحكام غير العادلة بين ابناء الشعب ، واثقالهم بالضرائب والاتاوات وغيرها، فضلاً عن ذلك اعتدادهم الكبير بأنفسهم ، واعتقادهم انهم الافضل دائما ، ويبدو ان طرفة بن العبد أحد الشعراء الذين اعلنوا عدم الطاعة والولاء للحاكم ، وأظهر تمرداً واضحاً ، اذ انه وعلى الرغم من صغر سنه فإن تجربته من التجارب التي تستحق الاشادة والذكر الحسن ، وان كان موقفه من السلطة قد كلفه حياته، ومن أروع ما قاله في الملك :

فليت لنا مكان الملك عمرو رَغوثاً حول قبتنا تَخُورُ.
من الزّمِرات أسبل قادماها وضرّتُها مركّنة دَرُورُ.
يشاركنا لنا رِخلان فيها وتعلوها الكِباشُ فلا تنورُ.
لَعَمْرُكَ إنّ قابوس بن هند لَيَخلِطُ مُلكَه نوكٌ كثيرُ[٢٤]

ان نظرة أولى للنص تعطينا انطباعاً واضحاً ومميزاً عن مدى الاستهزاء والتهكم الذي أبداه طرفة من الملك ، وعدم اعتداده به ومعارضته له، اذ يصفه بالحمق والجهل، وان نعجة حلوبة أفضل منه ، وقد كلفه هذا الموقف حياته فيما بعد ، لكن من المفارقات التي أظهرها هذا الشاعر انه حتى في الساعات الاخيرة في حياته ، نجده يواجه مصيره بقوة وشدة بأس ورباطة جأش، وهذا ما أفصحت عنه الروايات التاريخية، فضلا عن الابيات التي قالها قبيل موته، والتي بقي فيها على موقفه، اذ يقول:

أبا منذرٍ أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك، بعض الشرّ أهون من بعضِ
أبا منذرٍ كانت غروراً صحيفتي ولم أعطكم بالطّوع مالي ولا عرضي[٢٥]

ويبدو ان الشاعر هنا كان على علم مسبق بمصيره الذي سيلقاه، وليس كما يدعي بعض الباحثين أن الشاعر دفعه نزقه وقلة خبرته الى هجاء الملك، فشجاعته وتنشئته هي التي دفعته الى تبني ذلك الموقف، ولم يتراجع عنه في أصعب الظروف حتى لا يترك فرصة للشامت أو للقارئ ان يتهمه بأتهام معين، وهذه الظاهرة تبدو فردية في كل زمان ومكان . وليس ببعيد عن ذلك موقف الشاعر الجاهلي يزيد بن الخذاق الشني من النعمان بن المنذر ، اذ تفصح هجائياته بروح الثورة والمعارضة والتمرد على السلطان، ورفض رسائل التهديد والوعيد ، ويبدو ان موقف الشاعر قد اسس على أرض صلبة استمدت

قوتها ومعارضتها من قوة القبيلة التي ينتمي اليها ، وموقف كهذا وان صدر بفردية ، لكنه يمثل روح الجماعة الرافضة للانقياد للسلطة ورفض الاحكام والجور بأشكاله كلها، فيقول:

أَعْدَدْتُ سَبْحَةَ بَعْدَ ما قَرَحَتْ ... ولبِسْتُ شِكَّةَ حازِمٍ جَلْدِ
لَنْ تَجْمَعُوا وُدِّي ومَعْتَبَتِي ... أَوْ يُجْمَع السَّيْفانِ في غِمْدِ
نُعْمانُ إنَّكَ خائِنٌ خَدِعٌ ... يُخْفِي ضَمِيرُكَ غيرَ ما تُبْدِي
فإذَا بَدَا لَكَ نَحْتُ أَثْلَتِنَا ... فَعَلَيكَها إنْ كُنْتَ ذَا حَرْدِ
يَأْبى لَنَا أَنَّا ذَوُو أَنَفٍ ... وأُصُولُنا من مَحْتِدِ المَجْدِ
إنْ تَغْزُ بالخَرْقاءِ أُسْرَتَنَا ... تَلقَ الكتائِبَ دُونَنا تَرْدِي
أَحَسِبْتَنَا لحماً عَلَى وَضَمٍ ... أَمْ خِلْتَنَا في البأَسِ لا نُجْدِي
ومَكَرْتَ مُعْتَلِياً مَخَنَّتَنَا ... والمَكْرُ مِنْكَ عَلاَمَةُ العَمْدِ
وهَزَزْتَ سَيْفَكَ كيْ تُحارِبَنَا ... فانْظُرْ بِسَيْفِكَ مَن بِهِ تُرْدِي
وأَرَدتَ خُطَّةَ حازِمٍ بَطَلٍ ... حيْرَانَ أَوبقَهُ الذي يُسْدِي
ولَقَدْ أَضَاءَ لَكَ الطَّرِيقُ وأَنْهجَتْ ... سُبُلُ المَسَالكِ والهُدَى يُعْدِي[٢٦]

وتتصاعد وتيرة التحدي والرفض والمعارضة عند ذات الشاعر، ليقدم قصيدة أخرى تتوقد رفضاً وتفصح عن تهديد صريح وصارم لسلطة الملك وجبروته، فيقول:

تحَلَّل أَبَيتَ اللَعنَ مِن قَولِ آثِمٍ ... عَلى مالِنا لَيُقسَمَنَّ خُموسا
إِذا ما قَطَعنا رَملَةً وَعَدابَها ... فَإِنَّ لَنا أَمراً أَحَذَّ غَموسا
أَقيموا بَني النُعمانِ عَنّا صُدورَكُم ... وَإِلّا تُقيموا كارِهينَ الرُؤوسا
أَكُلُّ لَئيمٍ مِنكُمُ وَمُعَلهَجٍ ... يَعُدُّ عَلَينا غارَةً فَخُبوسا
أَلا اِبنَ المُعَلّى خِلتَنا وَحَسِبتَنا ... صَرارِيَّ نُعطي الماكِسينَ مُكوسا

فَإن تَبعَثوا عَيناً تَمَنّى لِقاءَنا تَجِد حَولَ أَبياتي الجَميعَ جُلوسا[٢٧]

ويقدم المرقش الأكبر صورة أخرى من صور الرفض وعدم الاستسلام للنعمان، جاعلاً من نفسه الند العنيد للملك، ولا يهمه ظلمه والتعريض به، فهو يمتلك من العفة والاباء ما يتيح له رفض قوى الخصم مهما كانت، اذ يقول:

أَبْلِغا المُنْذِرَ المُنقِب عَنِّي غيرَ مُستَعْتِبٍ ولا مُستَعِينِ
لاتَ هَنَّا ولَيْتَنِي طَرَفَ الزُّجْـ ـجِ وأَهْلِي بالشَّأْمِ ذاتِ القُرونِ
بامْرِىءٍ ما فَعَلْت عَفٍّ يَؤُوسٍ صَدَقَتْهُ المُنى لِعَوْضِ الحينِ
غيرَ مُسْتَسْلِمٍ إذا اعْتَصَرَ العا جِزُ بالسَّكْتِ في ظِلالِ الهُونِ
يُعْمِلُ البازِلَ المُجِدَّة بالرَّحْـ ـلِ تَشَكَّى النِّجادَ بَعْدَ الحُزُونِ
بَفَتىً ناحِفٍ وأَمْرٍ أَحَذٍّ وحُسامٍ كالمِلْحِ طَوْعِ اليَمينِ[٨٢]

ويقول سويد بن خذاق العبدي معترضاً على سياسة عمرو بن هند التي تقوم على التفرقة بين القبائل، فيقول:

جَزَى اللهُ قابُوسَ بنَ هِنْدٍ بفِعْلِهِ بِنَا وأَخاه غَدْرَةً وأَثَامَا
بما فَجَرَا يَوْمَ العُطَيْفِ وفَرَّقَا قَبَائِلَ أَحْلاَفاً وحَياً حَرَامَا
لَعَلَّ لَبُونَ المُلْكِ تَمْنَعُ دَرَّهَا ويَبْعَثُ صَرْفُ الدَّهْرِ قَوْماً نِيَامَا
وإلاَّ تُغادِينى المَنِيَّةُ أُغْشِكُمْ على عُدَوَاءِ الدَّهْرِ جَيْشاً لُهَامَا[٢٩]

٢-رفض سلطة القبيلة : كانت القبيلة ولا تزال الكيان الاجتماعي الذي ينماز بالوحدة ، ولا يمكن التخلي عنه بأي شكل من الأشكال ، لأنها النواة التي تساعد الفرد على البقاء وتضمن له حقوقه ،

ولا يمكن أن يجري التعرض لفرد من أفرادها ما دام في حمايتها ، فهي المأمن والملاذ والقوة وسر البقاء ؛ ما دام الفرد على قيد الحياة ، وقد صور شعراء العصر الجاهلي القبيلة وأهميتها له ، وفي مقابل ذلك على الفرد الالتزام بقوانينها وتعليماتها ، ولا يجوز له الخروج عليها، لأنه اذا فعل ذلك فسيجري التخلي عنه واعلان البراءة منه ، وفي خضم هذه الأنظمة والقيود والضوابط ، نجد أن بعض الظواهر الفردية التي مثلت خروجاً أولاً على نظام القبيلة وعدم احترام سلطتها تظهر على السطح ؛ لتفصح بعد ذلك عن تكوين حركة مهمة تعد من أهم الحركات التي غيرت الكثير من المسارات في تاريخ الفردج الجاهلي ، وتلك الحركة هي حركة الصعاليك التي مثلت صوت الرفض ، وقوضت أركان العصبية القبلية، وأشهرت سيفها للنيل من القبيلة ، وكونت مجتمعاً لا يقبل الضيم ، ورفض قوى التسلط بكل أشكالها ، وتمثل ذلك بطائفة الصعاليك ، فهذا الشنفرى يعلن تمرده ورفضه لسلطة القبيلة ، بل وسلطة المجتمع بكل طوائفه بكل جرأة واقدام، فيقول:

-٣

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم ... فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيَلُ

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ ... وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ

وَفي الأَرضِ مَنأى لِلكَريمِ عَنِ الأَذى ... وَفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ

لَعَمرُكَ ما في الأَرضِ ضيقٌ عَلى اِمرِئٍ ... سَرى راغِباً أَو راهِباً وَهوَ يَعقِلُ

وَلي دونَكُم أَهلَونَ سيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرقَطُ زُهلولٌ وَعَرفاءُ جَيأَلُ

هُمُ الرَهطُ لا مُستَودَعُ السِرَّ ذائِعٌ ... لَدَيهِم وَلا الجاني بِما جَرَّ يُخذَلُ

وَكُلُّ أَبِيٍّ باسِلٌ غَيرَ أَنَّني ... إِذا عَرَضَت أُولى الطَرائِدِ أَبسَلُ

وَإِن مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكُن ... بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ[٣٠]

صيحات الرفض والتمرد واضحة جداً ، اذ يمتلك شخصية تنماز بالعزة والكبرياء ، وتأبى الرضوخ والاستسلام للذل ، فكسر قيود القبيلة ، ويبدو أنه اختار المجتمع الحيواني المتمثل بالسباع والأفاعي ؛ لأنه وجد فيها روح التمرد والثورة ، فكلاهما لا يخشى ، ولا يعرف معنى الخوف ، وكلاهما يمتلك الجرأة والاقدام ، وفي هذا الخطاب نسق مضمر يتجلى بوضوح من خلال المقارنة ، إذ إن الشاعر يعرض بقومه لكن بطريقة النسق المضمر، فقومه والقبيلة جبناء يخافون من كل شيء ، ولو لم يكونوا كذلك لما اختار المجتمع الحيواني عليهم ، ومن هنا رفض الشاعر الضعف بأنواعه كلها سواء أكان نفسياً أم غيره .

ويتحول الرفض ( رفض سلطة القبيلة ) الى نوع من السخرية والاستهزاء ، من دون الخروج عليها أو الابتعاد عنها، ويتجلى هذا المفهوم في قول قريط بن أنيف العنبري :

لكنَّ قومِي وإنْ كانوا ذَوِي حسب ... ليسوا مِن الشَّرِّ في شيءٍ وإنْ هَانَا
يَجْزُونَ مِن ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً ... ومِن إساءَةِ أَهْلِ السَّوءِ إِحْسَانَا
كأَنَّ رَبَّك لم يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ ... سواهمُ مِن جميعِ الناسِ إنسانَا
فليت لي بهم قومًا إذا رَكِبُوا ... شَدُّوا الإغَارَةَ فُرْسَانًا ورُكْبَانَا[٣١]

والشواهد على ذلك كثيرة لا يسع المجال لذكرها في هذا البحث الضيق المحدود.

٤-

المتأرجحون في المواقف : هذا النوع من الشعراء يحاول قراءة الواقع من جهتين : الاولى الواقع السلطوي المتمثل بسلطة الملك وجبروته ومواقفه اليومية تجاه الرعية ، فكانت شخصيته تجمع أو تحاول أن تجمع نقيضين أو طرفين ، طرف الانتماء الى السلطة والانتماء الى القيم والاعراف التي تنبذ أن تكون تحت وطأة السيطرة ، أو أن تكون خاضعة مؤيدة لهوى الحاكم على حساب المحكوم .

ان موقف كهذا يجعل الذات تعيش حالة صراع وعدم استقرار بين الخضوع وعدمه ، وهذا التأرجح والتأييد المطلق ، أو الرفض المطلق للسلطة ، لأن بعض المواقف محكومة بمصالح أو قد تبنى عليها رؤى مستقبلية ، أو أن هناك مجموعة من الاسباب التي تتعلق بالجانب الاجتماعي ، مثل النسب ، أو تتعلق بالجانب الذاتي ، مثل الطمع في الحصول على جائزة أو طلب نوال ، لكن النتيجة لا تأتي مرضية فتتحول تلك الشخصة من مؤيدة الى رافضة ، وعلينا أن نضع في حسباننا ان هذه الفئة تتداخل مع الفئة الاولى الوصولية الانتهازية ، فعلاقة الشاعر بالسلطة ليست دائما على ما يرام ، لا سيما الشعراء الذين يبحثون عن العطاء ، والذين يطلبون النوال بأشعارهم ، فهؤلاء كلما قل العطاء ، كلما أصاب علاقتهم الانحراف وتغيير المسار باتجاه آخر ، وهذا يعطينا تصوراً وافياً وحقيقياً عن تخلي الشاعر عن مكانته التي أعدتها القبيلة ، وعن الصورة التي رسمت له ، إذ «كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذبٌّ عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج» [٣٢]، هذا من جانب ، ومن جانب آخر يمثل ابتعاداً عن سلطانهم الحقيقي ، فقد «كان للشعراء في الجزيرة العربية أيام الجاهلية سلطان يفوق سلطان الصحافة في الأزمنة الحديثة ، إذ كان العرب يحسون أن فيهم شيئاً خارقاً أو سحرياً» [٣٣]،

وهذا يعني أن سلطة المثقف أصبحت تتجه نحو الانحدار، والبحث عن المال والتزلف الى السلطان ، والشعراء منهم الكثير الذين سلكوا هذا المسلك في العصر الجاهلي ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما قام به حسان بن ثابت والحطيئة وغيرهم ، ويروي حسان بن ثابت خبرا يدل على شخصيته ، فيقول : «قدمت على النعمان بن المنذر وقد

امتدحته ، فأتيت حاجبه عصام بن شهبرٍ فجلست إليه، فقال : إني لأرى عربياً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكن قحطانياً ، فقلت : فأنا قحطاني ، قال: يثربياً ، قلت فأنا يثربي ، قال: فكن خزرجياً ، قلت فأنا خزرجي ، قال: فكن حسان بن ثابت ، قلت: فأنا هو ، قال: أجئت بمدحة الملك ؟ قلت: نعم ، قال: فإني أرشدك : إذا دخلت فإن يسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه ، فإياك ان تساعده على ذلك ، ولكن أمر ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جبلة ، وهو منك وأنت منه !! وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله ، فإن اقسم عليك ، فأصب منه اليسير إصابة بارٍ قسمه ، متشرفٍ بمؤاكلته لا أكل جائعٍ سغبٍ، ولا تطل محادثته...»[٣٤] ، هكذا نرى حاشية السلطة وهي تلقن الشاعر ما يجب عليه فعله ، كي ينال ما جاء من اجله ، وما على الشاعر إلا التنفيذ كي يحصل على ما يريد ، وهكذا فعل حسان بن ثابت :»فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك ، فجاراني من أمر جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبت بما أمرني ، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عصام به ، وبالشراب فعلت مثل ذلك ، فأمر لي بجائزة سنية وخرجت ، فقال لي عصام: بقيت علي واحدة لم أوصك بها ، قد بلغني أن النابغة الذبياني قدم عليه، وإذا قدم فليس لأحد منه حظ سواه ، فاستأذن حينئذ وانصرف مكرماً خير من ان تنصرف مجفواً ...»[٣٥]، وتتضح لنا المنزلة المتدنية التي وصل إليها الشاعر ، لاسيما بقوله : «ففعلت ما أمرني عصام به ، وبالشراب فعلت مثل ذلك، فأمر لي بجائزة سنية وخرجت» ، لقد أصبح يأتمر بأمر الحاشية بعد أن كان بمنزلة النبي !!، وقبل ان ينصرف حسان مجفواً ، لنا أن نقف عند معلقة النابغة «ثم قدم عليه الفزاريان ، وكان بينهما وبين النعمان دَخَلٌ أي خاصة ، وكان معهما النابغة قد استجار بهما ، وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه ، فضرب عليهما قبة من أدمٍ ، ولم

يشعر بأن النابغة معها ودس النابغة قينةً تغنيه بشعره :

يا دار مية بالعلياء فالسندِ

فلما سمع الشعر قال : اقسم بالله انه لشعر النابغة»((٣٦))

فالخبر الذي جاء على لسان حسان بن ثابت يوضح لنا «القوة الإفتدائية للشعر في سياق مراسيم البلاط وحق الحماية ، فأولاً وقبل كل شيء ، إن جمال قصيدة النابغة المعلقة الأخاذ ، والذي لا تخطئه عين هو الذي يميط اللثام عنه ويفتديه ، كما أن حادثة الحناء التي خضب بها النابغة لحيته قنأت ، أي اشتدت حمرتها،... أي إن القصيدة أنقذت شاعرها من الموت»((٣٧)) ، لاسيما أن النابغة جاءت به إلى البلاط ، الامتيازات والخوف ؛ فالخوف من كونه مهدداً من قبل الملك ، والامتيازات كونه على ما هو عليه من تهديد وخوف ، فمازال يمتلك حظوة عند الملك تجعله مفضلاً على غيره وتجلب له العطايا السنية.

وليس ببعيد عن هذا الموقف ، يظهر حسان بموقف آخر ومع ملك آخر من ملوك الغساسنة هو عمرو بن الحارث الغساني ، اذ يحاول حسان الدخول على الملك ، لكن الحاجب حاول ان يعترض طريقه ، فلجأ الى سلطته بوصفه شاعرا ، اذ قام بتهديد الحاجب بالهجاء ، ولم يقتصر التهديد بذلك على الحاجب فقط ، بل سيمتد الى اليمن كلها ان لم يسمح له بالدخول ، وحينها أذن له الحاجب بالدخول على الملك ، واذا به يجد النابغة وعلقمة عند الملك ، فحاول الملك أن يثنيه عن القاء قصيدته ، لأن هناك صلة بين الغساسنة وحسان خشية أن يقع حسان في خطأ معين ، لأن حسان لا يمكن أن يقول وبحسب تعبير الملك :

رقاقُ النعالِ ، طيبٌ حجزاتهمْ ، يُحيَوّنْ بالريحانِ يومَ السبَّاسِبِ

تُحَيّيهم بيضُ الولائِدِ بينَهُم وأكسِية الأضريج فوق المشاجِبِ

يصونونَ أجساداً قديماً نعيمُها بخَالصَةِ الأرْدَانِ خُضرِ المناكِبِ

ولا يحسِبُونَ الخيرَ لا شَرّ بعدهُ  ولا يحسِبُون الشرّ ضربةَ لازبِ
حَبَوتُ بها غسّانَ إذْ كنتُ لاحقاً  بقَومي وإذْ أعْيَت عليَّ مذاهبي[٣٨]

وهـذه الأبيـات للنابغـة الذبيـاني صاحـب الـولاء المطلـق للنعـمان بـن المنـذر في أيـام سـالفة كان فيهـا الغساسـة مـن أشـد أعـداء النعـمان ، فقـال:

دارٌ لِقَومٍ قَد أَراهُم مَرَّةً  فَوقَ الأَعِزَّةِ عِزُّهُم لَم يُنقَلِ
.....  .....
الضارِبونَ الكَبشَ يَبرُقُ بَيضُهُ  ضَرباً يَطيحُ لَهُ بَنانُ المَفصِلِ
وَالخالِطونَ فَقيرَهُم بِغَنِيِّهِم  وَالمُنعِمونَ عَلى الضَعيفِ المُرمِلِ
أَولادُ جَفنَةَ حَولَ قَبرِ أَبيهِمُ  قَبرِ اِبنِ ماريَةَ الكَريمِ المُفضِلِ
يُغشَونَ حَتّى ما تَهِرُّ كِلابُهُم  لا يَسأَلونَ عَنِ السَوادِ المُقبِلِ
يَسقونَ مَن وَرَدَ البَريصَ عَلَيهِمُ  بَرَدى يُصَفِّقُ بِالرَحيقِ السَلسَلِ
يُسقَونَ دِرياقَ الرَحيقِ وَلَم تَكُن  تُدعى وَلائِدُهُم لِنَقفِ الحَنظَلِ
بيضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أَحسابُهُم  شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِرازِ الأَوَّلِ
فَعَلَوتُ مِن أَرضِ البَريصِ إِلَيهِمُ  حَتّى اِتَّكَأتُ بِمَنزِلٍ لَم يوغَلِ[٣٩]

ان أبيات حسان تدل وبوضوح تام على مدى تقلب هذا الرجل ، إذ انه وعلى الرغم من انتسابه اليهم ، فانه في كثير من الاحيان يرتمي في أحضان خصومهم ، ويمدح ويسرف في مدحه ، رغبة في الحصول على الجائزة والوجاهة والقرب من السلطان .

وذات الشـاعر يظهـر في موقـف آخـر يـكاد يكـون قمـة التأرجـح والازدواجيـة ، وسـوء المعرفـة ، اذ يـروي صاحـب العقـد الفريـد خـبراً مفـاده : «دخـل حسـان بـن ثابـت عـلى الحـارث الجفنـي ، فقـال : أنعـم صباحـاً أيهـا الملـك ، السـماء غطـاؤك ، والأرض وطـاؤك ، ووالـدي ووالـدتي فـداؤك ، أنـى يناوئـك المنـذر، فـوالله

لقذالك أحسن من وجهه ، ولأمك أحسن من أبيه ، ولظلك خير من شخصه ، ولصمتك أبلغ من كلامه ، ولشمالك خير من يمينه ، ثم قال:

وَنُبِّئتُ أَنَّ أَبا مُنذِرٍ ... يُساميكَ لِلحَارث الأَكبَرِ
قَفاك أَحسَنُ مِن وَجهِهِ ... وَأُمُّكَ خَيرٌ مِنَ المُنذِرِ
وَيُسرى يَدَيكَ على عسرها ... كَيُمنى يَدَيهِ على المعسر
وَشَتّانَ بَينَكُما في النَدى ... وَفي البَأسِ وَالخيرِ وَالمَنظَرِ[٤٠]

الخاتمة:

توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج التي يمكن اجمالها بما يأتي :

١- ادت المصالح الشخصية دوراً كبيراً في تحريف الحقائق ، إذ ان رغبة الشعراء في الوصول الى السلطة والعيش بنعيمها ، يتطلب منهم التأييد والولاء المطلق بعيداً عن الحقيقة ، وهذا الأمر أدى الى تأزم المواقف وغير بعض الميول والاتجاهات ، فالشاعر تهمه مصلحته بالدرجة الاولى ، ولا تهمه مصلحة الاخر، وبعد ذلك تأتي الدوافع الاخرى .

٢- كان ( المؤيدون ) المتملقون يمثلون السواد الاعظم من الشعراء ، وعلينا ان نضع بحسباننا ان اغلب المتملقين هم من الوافدين وليس من سكان المنطقة المحكومة ، أو من ضمن سكان الرقعة الجغرافية التي يفرض الملك سيطرته عليها .

٣- دفع المعارضون للسلطة ضريبة معارضتهم ، وكان الثمن كبيراً ، اذ فقد بعضهم حياته ، وبعضهم الاخر تعرض للتسقيط والنفي والتهجير، مع العلم ان بعضهم كان يعي بما سيؤول اليه مصيره .

٤- يبدو ان جميع اصحاب السلطة قد انتهجوا نهجاً واحداً ساروا عليه ، اذ ان تقريبهم للشاعر أعطاهم شرعية كبيرة في ممارسة جورهم وظلمهم ؛ لأن الشاعر هو العنصر الاعلامي الوحيد، والصوت الناطق الذي يزييف الحقائق ، لا سيما اذا باع الشاعر ذمته ، وهذا ما حصل ، إذ إن أغلب الشعراء باعوا

ذممهم من اجل المال والعطايا.

٥- إن أغلب الشعراء الذين وقفوا على الحياد ، كانوا من سكان المناطق المحكومة ، ويبدو ان العزة بالنفس والكبرياء والشعور بأنهم أفضل جعلهم يتخذون هذا الموقف.

٦- لم نجد أثراً لسلطة سوية أو رشيدة في العصر الجاهلي ، اذ تعاملت جميع السلطات على وفق سياسة الكيل بمكيالين.

٧- يبدو ان السلوك الانتهازي الذي ظهر من خلاله اتجاه التأييد كان طارئاً ، لأنه لم يكون معروفاً في بيئة العصر الجاهلي حتى ظهر النابغة والاعشى.

٨- سمة عدم الاستقرار من السمات التي ظهرت في تصرفات الشعراء وسلوكهم، لا سيما اولئك الذين تتغير مواقفهم مع تغير السلطة.

٩- للتنشئة الاجتماعية الأثر الفاعل والكبير في موقف الفرد واتجاهه ، اذ ان الطفولة والبيت والمكانة الاجتماعية كانت من البواعث المهمة في اتخاذ المواقف .

١٠- تعاملت السلطة مع الانتهازيين تعامل الاب مع الابن ، فصارت الحقائق القارة المعروفة مشوهة، وصار الطارئ هو الأصل.

١١- ان مرحلة العصر الجاهلي رسمت سياسات المراحل اللاحقة ، إذ إننا اليوم نعيش تلك السياسة ونتحمل تلك الأعباء ، فصار الطارئ هو الذي يتسيد وهو من يرسم ويخطط ويتحكم بالمصائر ، أما الأصل فمستبعد .

الهوامش:

١- ثقافات منحنية في المشهد الثقافي الراهن٥ .

٢- الشعراء والسلطة : ٢٤

٣- الشاعر والسلطة ٢٠.

٤- المثقف العربي والحاكم: ٢٢٠

٥- الشاعر والسلطة ٤.

٦- السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها: ٤٩ .

٧-عن التقسيم الخاص بأنواع السلطة ينظر مثلا:الشاعر والسلطة ٦-٧.

٨-ينظر: الشاعر والسلطة ٢٤٩.

٩- هذه التسميات تشترك فيما بينها وتتقارب حتى تكاد تكون واحدة بسبب عدم اتزان بعض الشعراء في مولقفهم، وعدم سيرهم في اتجاه واحد.

١٠- المثقف والسلطة ٨٨.

١١-غواية التراث: ١٣٧

١٢-ديوانه ٢٠-٢١

١٣- ديوانه ٣٨.

١٤-ديوانه ٤١.

١٥- ديوانه ٨٩-٩١.

١٦- ديوانه ١٢٦.

١٧- ينظر: ايام العرب في الجاهلية ١٦٠.

١٨- الاغاني ٢/ ٩٧.

١٩- ديوانه ٦٤.

٢٠- الشاعر والسلطة ١٧٠

٢١- أنطقة المحرم ١٠.

٢٢- المثقف العربي والحاكم ١٠٨ و ١٠٩.

٢٣- الإنسان المتمرد ،البيركامو ٢٧ .

٢٤- ديوانه ١٠٨-١٠٩.

٢٥- ديوانه ١٦٩.

٢٦- المفضليات ٢٩٦.

٢٧- المصدر نفسه ٢٩٨.

٢٨- ديوان المرقشين ٧٩.

٢٩- الشعراء المعمرين أخبارهم وأشعارهم في الجاهلية الى نهاية العصر الاموي ٣٦٨-٣٦٩.

٣٠- شعره ٦٦-٦٨.

٣١- ديوان الحماسة ١١.

٣٢- العمدة ١/ ٦٥.

٣٣- أنساب العرب٣٣٣.

٣٤- الأغاني ٩/ ١٧١ _١٧٢.

٣٥- المصدر نفسه ٩/ ١٧١ _١٧٢.

٣٦- الأغاني ٩/ ١٧١ _١٧٢.

٣٧- القصيدة والسلطة، الاسطورة، الجنوسة، المراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، ٦٧

٣٨- ديوانه ٤٧-٤٨.

٣٩- ديوانه ١٨٤.

٤٠- ديوانه ١١٠.

## المصادر والمراجع


-الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) نسخة مصورة عن دار الكتب ، مطابع كوستانسوماس وشركائه ، القاهرة (د. ت).

-أنساب العرب، سمير عبد الرزاق القطب، دار مكتبة الحياة، ١٩٩٧.

-الإنسان المتمرد ،البيركامو ، ترجمة نهاد رضا ، ط١ ، ١٩٦٣ .

-أنطقة المحرم ، المثقف وشبكة علاقات السلطة ، سعد محمد رحيم ، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ـ شارع المتنبي ، ط١ ٢٠١٣: ١٠

-ايام العرب في الجاهلية، محمد احمد جاد المولى واخرون، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٤٢.

-ثقافات منحنية في المشهد الثقافي الراهن، د.عبد العظيم رهيف السلطاني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر،بنغازي ـ ليبيا،ط١، ٢٠٠٥م.

-حسين العودات، المثقف العربي والحاكم، دار الساقي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٢، ص ١٠٨ و ١٠٩.

-حماسة ابي تمام، شرح احمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، ط١، ١٩٩٨.

-ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق، د. محمد محمد حسن، مصر، ١٩٥٠م.

-ديوان الحماسة، أبو تمام، رواية أبو منصور الجواليقي تحقيق عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد للنشر بغداد، ١٩٨٠.

-ديوان الشعراء المعمرين، اخبارهم وأشعارهم في الجاهلية الى نهاية العصر الاموي ، صنعته الدكتورة شمس الاسلام احمد حالو، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، الامارات، ط١، ٢٠١٠.

-ديوان المرقشين ـ المرقش الكبير، عمرو بن سعد ت٥٧ق.هـ ، المرقش الأصغر، عمرو بن حرملة ت٥٠ ق.هـ، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

-ديوان النابغة الذبياني، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٨٥.

-ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه الاستاذ عبد أ.مهنا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٩٤.

-ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٥.

-ديوان عدي بن زيد العبادي : حققه وجمعه محمد جبار المعيبد ، سلسلة كتب التراث، وزارة الثقافة والإرشاد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد ، ١٩٦٥م .

-السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها ، عبدالله إبراهيم ناصيف ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٩٣

-الشاعر والسلطة في العراق من ١٩٠٨ إلى ١٩٧٩، حسين علي جبار كاصد، اطروحة دكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠١٤.

-شعر الشنفرى الأزدي ، ابو فيد مورج بن عمرو السدوسي ، تحقيق وتذييل : د. علي ناصر غالب، راجعه : عبد العزيز بن ناصر المانع، دار اليمامة للبحث والطباعة ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٨ .
-الشعراء والسلطة ، أحمد سويلم ، ، دار الشروق ـ القاهرة : رابعة العدوية ، مدينة نصر : ١٤٢٤ه ـ ٢٠٠٣م.
-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده- ابي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨١ .
-غواية التراث : د. جابر عصفور ، سلسلة الكتاب العربي ٦٢، وزارة الإعلام الكويتية، مطبعة حكومة الكويت ، ط١، ٢٠٠٥.
-القصيدة والسلطة، الاسطورة، الجنوسة، المراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، تأليف ومراجعة سوزان بينكني ستيتكيفيتش، ترجمة وتقديم: حسن عز الدين البنا.
-المثقف العربي والحاكم ، حسين العودات ، دار الساقي ، ط١ : ٢٠١٢ .
-المثقف والسلطة ، إدوارد سعيد ، ترجمة : د . محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ـ القاهرة ، ٢٠٠٦
-المفضليات- المفضل الظبي، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٦.